■ هدى حمد، كاتبة وصحفية، تقرأ روايتها فتصيبك دهشة كما تجد متعة القراءة عندما تتابع عمودا صحفيا تكتبه بحبر الكاتبة: المرأة، والأم، والزوجة.. متفجّرة بالإبداع تلاحقه فلا تنثني عند صخور تلقى أمامها، إيمانها أنها صاحبة مبدأ وفكر.. ووقوف شريك حياتها الكاتب والمسرحي هلال البادي معها.. حرراها من عقد ومصاعب ذوت بسببها أقلام كانت من الممكن أن تكون مشرقة.. كقلم هدى.

هي نموذج للأم والزوجة التي لا تكف عن الكتابة، ومشروعها الصحفي والأدبي، قدمت للساحة الثقافية نشاطا كتابيا وحضورا متنوعا.. إصدارات في القصة القصيرة والرواية ومشاركات أدبية في ملتقيات ومنتديات، في السلطنة وخارجها الحوار مع هدى، الكاتبة، كالحوار مع هدى، الأم والزوجة والموظفة.■

هدى حمد: أنحاز لكتابة الحياة

والمرأة الكاتبة ليست المُخلّصة لآلام النساء

مشاريع الكتابة لدى المرأة في عمان تبدأ متوهجة وما تلبث أن تخبو شمعتها وقد ترقد لسنوات

● بعد روايتيك «الأشياء ليست في أماكنها» و«التي تعد السلالم»، هل ستبقى هدى حمد في أسر الحكاية النسوية، أم أن عالم الرجل وعلاقته بالمرأة سيمدها بجسر نحو روايتها التالية؟

لا أجد مبررات كافية لتصنيف الكتابة على اعتبار أنّها نسوية أو ذكورية، ولا أظن أنني أنحاز للكتابة النسوية حتى وإن كانت بطلاتي نساء. وإنما أنحاز لكتابة الحياة. المرأة تكتب أيضا لأنّها تحب الكتابة وتتنفس عبرها، وليس انتصار الأفكار جاهزة تعد كتابة المرأة وسيلة للدفاع عن نفسها وعن بنات جنسها في عش الدبابير الذكورية.. الكتابة هي أكثر من رغبة في التنفيس، أكثر من حكاية الدفاع المستميتة هذه، إنها وعي بالحياة، لحظة اقتناص جادة لزمن مسروق. إنها التأمل.. المرأة الكاتبة ليست المُخلّصة لآلام النساء. وبالنسبة لي قد أنشغل بالمرأة أخلاقيا وأنا اكتب مقالي الأسبوعي، ولكني لا أفعل ذلك وأنا اكتب نصي الإبداعي. أما ما وراء النص فأتركه للقراء والنقاد فلهم أن يقولوا فيه ما يشاؤون.

● هل تشعرين بأن الكاتبة في الخليج معنية أكثر بهواجسها لتبوح أكثر مما تشتغل على الرواية فنيا؟

هذا السؤال فخ كبير، يُحاول مجددا أن يُوقعنا في شرك التمييز بين كتابة المرأة وكتابة الرجل، يُحاول أن يقول إنّ المرأة لم تخرج من هواجسها، بينما الرجل تمكن من نسيج كتابته وفق الفنيات المنتظرة. ومجددا لا أحب الدخول في معمعة الأسئلة التي تطلق الأحكام الجاهزة، فالمرأة وإن كانت تلح عليها مواضيع بنات جنسها فذلك لأنها مادّة خام وخصبة صالحة جدا للكتابة، مادة غنية بالتفاصيل والمفارقات، ومعيار التقييم في الكتابة لا ينبغي أن ينصب على الموضوع، لأن الأفكار مطروحة على قارعة الطريق، وإنما ينبغي أن ينصب على: «كيف نكتب؟ كيف نقول ما لدينا»، فالكاتب هو الأسلوب.

الكاتب والكاتبة على حد سواء عندما يتنازلان عن فنيات العمل الكتابي لصالح الخطابية المُقعرة، سيتحولان بالتأكيد إلى أبواق غبية، مفلسة وليس لديها ما تقوله.

بالنسبة لي الكتابة هي الكتابة، إما أن تكون جيدة فتبقى وتحيا، وإما أن تكون الزبد فتموت وتنتهي وتذهب إلى زاوية النسيان مباشرة، بغض النظر عن جنس كاتبها .

أقرأ لأطفالي

● بين الصحافة، والكتابة الأدبية.. والأسرة..أين تقيم هدى حمد؟ وكيف تقرأ لأطفالها حكاياتها؟

لم أكن أظن في حياتي أنّ هنالك ما يُمكن أن يُضاهي بهجة القراءة والكتابة، إلى أن اكتشفتُ تلك الكائنات الصغيرة التي كبرت في أحشائي، ثم خرجت إلى الحياة لتمنح قلبي حكايات اضافية.

ولأني أمّ مشغولة، أقضي ساعات يومي في عملي أكثر من ساعات بقائي مع أطفالي، أشعرني الأمر بالخيبة والكآبة وإحساس مرير بالفشل.. وبينما كنتُ أتابع حلقة من حلقات الإعلامية الشهيرة أوبرا وينفري، وهي تتحدث عن الأمهات، وقد أجرت مقارنات بين ربات المنازل وبين الأمهات العاملات، خلصت إلى نتيجة مفادها: «ليس مُهما عدد الساعات التي نقضيها بصحبة الأطفال. المهم نوعية هذا الوقت وفيما يُنفق». منذ تلك اللحظة غادرتُ كآبتي وتيقنتُ أن الوقت الجيد يمكن أن يكون في أمرين الأول يكمن في القراءة، حيث تلمس أولادي الكتب باكرا جدا، وعشقوا حكايات ما قبل النوم، تلك المخترعة أو المستلة من القصص العالمية.

وأيضا كنتُ أنفق وقتي القصير معهم بإشراكهم في إعداد طبق العشاء، كان المطبخ المكان الذي نحضرُ فيه الحكايات والقصص السحرية.. نمثلُ ونقلبُ الأدوار فيما بيننا. منذ تلك اللحظة آمنتُ أنّ القصص والمطبخ يصنعان ذاكرة بيني وبين أطفالي، يصنعان انجذابا خاصا وحنينا أبديا، لا أفعل ذلك بالتأكيد لكي يتحولوا إلى نسخ مني أو من أبيهم.

زوجي، هلال البادي له دور أصيل وحقيقي في أي نجاح أتقدم به للأمام

فليس بالضرورة أن يتحولوا إلى كتاب.. وإنما أحاول أن أسلحهم بالمعرفة باكرا، ليختاروا طريقهم الخاص بهم.

● هدى حمد الزوجة أولا.. أو الكاتبة، وهي تتقاسم حياتها مع كاتب، يفهم أكثر ما معنى أن تكون الزوجة كاتبة كما هي أم أيضا؟

الاختبار الأول الذي أجزم أننا اجتزناه معا خلال سنوات حياتنا الزوجية العشر، هو المحاولة الدائمة لإبقاء روح «اللاتنافسية» بيننا، رغم أننا نحرث في أرض واحدة. صحيح أنني أتعامل منذ زمن باكر جدا مع الكتابة على أنها مشروع حياة، لكن لأكن صادقة أيضا، زوجي الكاتب والمسرحي هلال البادي له دور أصيل وحقيقي في أي نجاح أتقدم به للأمام. فأنا أم وموظفة ولدي الكثير من الأعباء الحياتية. لذا أن يكون هناك إنسان في الدنيا حريص على أن أقرأ، حريص على أن أكتب، حريص على أن يكون ناقدي الأول الحازم والمحب في آن.. أظن هذا يجعلني امرأة وكاتبة محظوظة للغاية، لأن صداقتي مع هلال البادي توفر لنا جوا ملائما للقراءة والكتابة، فهو كشريك يعي تماما أن ما أفعله مهم، وليس ترفا زائدا، لذا هو مُحرض دائم لاشتغالي ولمشاركاتي الدائمة في المحافل الأدبية داخل السلطنة وخارجها، فكلما خفتت شمعتي قليلا أضاءني هلال بشمعته.. هكذا نتدفق إلى جوار بعضنا البعض، ونكبر كأغنية أو كإيقاع خاص. وأجمل جملة سمعتها من هلال منذ بداية مشوارنا معا ولا تزال تؤثر كثيرا في سير حياتي كان عندما قال لي: «كل التفاتة لكلام الناس وكل اعتناء بنظرة المجتمع، تؤخر ذهابكِ لخطوة للأمام».

من ذلك اليوم وأنا أنظر للأمام وحسب.

الأمومة

● ماذا تعني لك الأمومة؟ هل هي أكثر اتساعا كما تراها مثقفة وكاتبة.. وامرأة ناجحة تدخل النجومية بسرعة وتميز؟

الأمومة.. مزلق خطير ويجلب معه الكثير من القلق. المرأة الطموحة تشعر بالخوف من السير وهي تحمل أكثر من بطيخة بين يديها، فهي تفكر: «كيف يمكنني أن أتوازن.. أريد عملي الإعلامي وأريد الكتابة وأريد أن أعيش حياتي

● هل يا ترى هناك جيل من الكاتبات العمانيات يخطو بذات الخطوات التي كانت عليها السنوات الماضية، نحو استمرارية الحكاية على لسان المرأة العمانية مكتوبة بلغة أدبية مكنتها من وضع اسمها بقوة في المشهد الثقافي المحلي والخليجي؟.

أغلب ما ألاحظه أنّ مشاريع الكتابة لدى المرأة في عُمان تبدأ

مُتوهجة وما تلبث أن تخبو شمعتها وقد ترقد لسنوات، بينما الكتابة لا تحتمل التأجيل والتسويف، فهي مشروع مُتراكم مُتواصل، لا تكفي الموهبة وحدها لإنتاج الكتابة الجيدة. وإنما المراس الدائم والتجريب بالإضافة إلى الوقود الذي لا ينضب وأعني القراءة.

قد يمر الكاتب بانقطاع بسبب عزلة أو لإعادة ترتيب أوراقه المبعثرة.. لكن المرأة قد تختفي لأسباب أخرى من قبيل: أنّ زوجها لا يريدها أن تفعل، أو لأنها منشغلة بالإنجاب أو لأسباب أخرى تتعلق بعملها وكرّات المسؤوليات المُلقاة على عاتقها، وفي مجتمع يرى أنّ الكتابة بلا أهمية فهي ترف زائد وبلا مردود مادي، ولا تعدو أن تكون ضربا من العبث. الكتابة على درجة عالية من الأنانية لأنّها تستحوذ على صاحبها، ولا تحتمل كثيرا المنافسة والمزاحمة مع أشياء أخرى. حتى إنّ الروائي الإيطالي باتريك موديانو الحائز على جائزة نوبل قال في ذات لقاء: «الكتابة شأن مقرف»، ليدلل على أنه ليس بالضرورة أن تكون الكتابة مُسلية ومُدهشة دائما، وإنما ينبغي على الكاتب أن يجتهد كثيرا لكي يُنجز مشروعه، وإلا سيبقى لزمن طويل لا ينجزُ سوى خواطره العابرة.

● ماذا يعني لك كصحفية وأيضا ككاتبة تكتب ميلادها الروائي ؟

بالتأكيد يعني لي الشيء الكثير.. فالفوز يرفع من رصيدي في معرفة الآخرين بي، خصوصا وأن المشكلة التي تردد كثيرا: أن لا سوق لاسم المثقف والكاتب العماني لأنه لا يجيد إيصال نتاجه للخارج، وإن كانت مشاركتي خالية من هذه النوايا، ودون قصد لتسويق الاسم إلا أن هذا ما حدث بصدق، وهذا ما انتبهت لأهميته لاحقا ... تلقيت اتصالات من دول الخليج تبارك وتهنئ الفوز، وتسأل عن العمل بإلحاح، وهذا أمر جد رائع، كما أن التسويق المحلي مفتقد أيضا فبالكاد هنالك أسماء محدودة استطاعت أن تصل إلى شرائح المجتمع وتخترق نسيجه الذي لا يقرأ أو لا يتعاطى القصة، ولكن بمجرد الفوز «وأتحدث هنا عن تجربتي الشخصية» أصبح الجميع في بحث عن هذا العمل، وفي شوق لقراءته، من شرائح وفتات عمرية متفاوتة ..فالفوز صنع أيضا تسويقا محليا للعمل، ولاسم الكاتب.

● ألم تستوعبك القصة لتكتبي الرواية ؟

بالعكس تماما القصة القصيرة هي مشروعي الحقيقي والذي لن أكف أبدا عن التمرن عليه، كما تتمرن راقصة باليه على ألا تفقد مرونة جسدها.. لذا فور انتهائي من كتابة الرواية كنت أرتجف من فكرة ألا تعود القصة صالحة لمقاسي، ولكني اجتزت التجربة بعد أشهر قصيرة من كتابة الرواية، وكتبت نص «منسم» الذي أدرجته في مجموعتي القصصية الثانية «ليس بالضبط كما أريد»..

بينما كتابة الرواية هي تجريب، ولا يمنع ذلك أبدا من إعادة التجربة خصوصا بعد أن كللت بهذا الفوز الجميل وغير المتوقع بالنسبة لي...

الحقيقة أن رتم الحياة والتفاصيل الكثيرة، وتعقيد الشخصيات في المدينة، والقرية على حد سواء لم يكفل للقصة ««الومضة ..الفكرة» على استيعابه، لذا أصبحنا نبحث عن متنفس أكبر لعوالمنا وحكاياتنا.. لذا أنا أصدق تماما على الفكرة التي تقول: إن انتقال الكتاب في الخليج من القصة إلى الرواية يشبه تماما واقع حالهم عند انتقالهم من البداوة إلى المدنية، فالرواية هي ابنة المدينة بامتياز، وابنة المتغيرات والتعقيد الذي أصاب حياتنا..

كما أني أصادق على الفكرة التي تقول إن الزمن هو زمن الرواية، لكن هذا لا يلغي أبدا القصة كجنس أدبي مستقل ومكثف وعميق، ولكنها تمر بمرحلة من الخفوت بالرغم من أن الكاتب عزت القمحاوي كتب في أحد مقالاته يتحدث عن أن القصة ما تزال مزدهرة في اليمن وعمان والمغرب... إلا أن عمان بدأت تحذو حذو دول الخليج الأخرى كالسعودية وبتنا نسمع عن الكثير من كتاب القصة، وهم يحضرون أنفسهم لأعمالهم الروائية الأولى، وهو أمر يتماشى تماما مع تحولاتنا وتغيرات حياتنا ورغبتنا في الخوض في إشكالات وقضايا تخصنا بفنيات نتمنى أن تكون عالية..

● ما أثر الأجواء الصحفية على عالمك القصصي إيجابا وسلبا ؟

الصحافة أوقعتني في فخ أرهقني لفترة من الزمن خصوصا في البدايات عندما كنت أكتب النص الذي يشتغل على اللغة، ويقوم بأكمله على إمكانيات أزعم الآن أنها غير حقيقية

بمعنى: التضخم والانتفاخ باللغة وعلائقها على حساب الفكرة والشخوص والحدث.. بينما الصحافة كانت تتطلب مني المباشرة، والموضوعية في الطرح.. لذا وصلت إلى مرحلة كتبت فيها نصوصاً مباشرة إلى حد قاتل.. أنا في العادة لا أضع قارئ النص في ذهني، وأنا اكتب النص الذي يخصني بينما الصحافة تتطلب مني أن أتذكر القارئ، وكيف التفت انتباهه بالمادة واضمن أنه سيقرؤني إلى آخر سطر.. إلا أن الصحافة لا تتشطر عن بقية الحلم .. اذكر وأنا في الصف الثالث الابتدائي.. كنت اكتب في مذكرات الطفولة أن أمنيتي أن أكون «الصحفية الصغيرة» منذ ذلك الزمن البعيد، ولم أكن اكتب الأديبة أو الكاتبة أو الروائية.. كان حلمي أن أكون صحفية ، وعندما كتبت في البدايات كتبت لأتمرن على الصحافة.

ولكن إلى حد ما استطعت أن أقوم بموازنة صغيرة بين ما اكتب للصحافة وما اكتب للأدب، وفوز الرواية بعد إكمالي أربع سنوات في مهنة الصحافة اعتقد أنه برهان صغير على أني نجحت بشكل أو بآخر في أن أتجاوز ذاك الإشكال، وأن أعيش الدورين معا لإعطاء كل ذي حق حقه..

إلا أن كثيرا من الأصدقاء مازالوا ينصحونني إلى الآن أن أكون مخلصة لمشروع الكتابة، وأن أبحث عن مهنة أخرى، ولكن الحقيقة أنا مدينة للصحافة بالكثير ..لأنها ساعدتني أولا على أن أرى الحياة بشكل آخر وأن أراها عن بعد وهذا ساعدني كثيرا في ألا أقحم اللغة بشكل غير موظف في النص، كما تعلمت من الصحافة أن لا أتعامل مع الشخوص وكأنها دمى أحركها من الأعلى لأن لكل شخصية صوتها الخاص الذي يجب أن تتكلم به بمعزل عني أنا، كما ينبغي أيضا أن لا يظهر موقف الصحفي من المادة الخبرية التي يكتب عنها...أنا مدينة للصحافة التي وسعت رقعة معارفي بالعالم الكتابي الذي يخصني من خلال المتابعة والتماس مع الجديد لكوني أعمل في القسم الثقافي... لذا مازلت أرى الوجه الجميل في مهنتي، ولم أفكر بصدق إلى الآن في البحث عن وظيفة أخرى.

● كفتاة عمانية هل تجدين الأبواب مفتوحة أم أن الأسوار عالية أمام حرية الإبداع؟

الأبواب لم تكن مفتوحة، ولم تكن مغلقة أيضا ... الأبواب كانت مواربة، وبحاجة إلى من يدفعها قليلا لكي نكتشف أنها ليست أبواباً حديدية، وقاسية بالحد الذي توهمناه... لم يكن دفع الأبواب أيضا بالأمر الهين لأنه ينبغي تجاوز الفكرة الأولى التي تقف كعائق وهمي أمام المرأة ..اقصد فكرة «العيب» التي تتردد على مسامعها طويلا منذ الطفولة الأولى... فالمرأة هي الغابة السرية التي يجب ألا يستمع إليها أحد، وإن همست ذات يوم بحكايتها سيأتي رجال القرية ليقتلوها ... لكن لم يكن الأمر مشابهاً للسيناريو الذي رسمته المرأة في رأسها لان حقيقة ما حدث أن المرأة ما إن اعتلت المنصة، وحكت الحكاية حتى استمع إليها الرجل جيدا بل افتتن بالحكاية كما فعل شهريار .

هنالك بعض الضغوط التي تمارس على المرأة نتيجة للأفكار الجاهزة عن «الفضيحة، والعيب»، ولكن للأسف أن المرأة لا تتبنى الكتابة كمشروع حياة، تتنازل عنه بالرغم من أنه حقها كالتعليم، والعمل والسياقة، فالأمر لا يقل أهمية عن ذلك، ولكنها تنظر في كثير من الأحيان «وأنا أتكلم الآن عن بنات مجتمعي العماني اللواتي تشاطرت معهن الدراسة والحياة» إلى أن الكتابة هواية يمكن لها أن تنتهي بمجرد أن يأتي الزوج على الحصان الأبيض..

● على المرأة التي تدخل إلى هذا المشروع أن تقبل ببعض من التضحيات، وأن تتحمل المسؤولية...

بالنسبة لي المعارضة كانت رهن الوقت لا أكثر، والآن أسرتي فخورة جدا بي كصحفية، وككاتبة، حتى وإن لم تكن هذه

الفكرة متقبلة قبل عشر سنوات من الآن من مبدأ الخوف أو العيب.. إلا أن الزمن كان كفيلا بردم الهوة خصوصا عندما تقدم المرأة نفسها كنموذج يستحق التقدير من المجتمع الذي تعيش فيه.

● اشتغلت على التراث فهل من استمرارية لهذا النهج وما الذي أغواك به؟

لم اشتغل على التراث بمعناه الكبير، وحتى أني لم اشتغل على الحكاية الشعبية التي تم تداولها بين الناس، ولكني اشتغلت على حكايتي الشخصية التي تتقاطع مع الأفكار السائدة أو العادات لخلق المفارقة بين القديم والحديث، ولإضفاء متعة ونكهة خاصة في قلب النص من مثل نص «على رأس جني» الذي يتحدث عن خرافة البول على رأس جني، وما قد يصيب الإنسان جراء ذلك، ونص «معصوبة العينين إلى البحر» وهي المرأة التي تعصب عينيها، وتقاد إلى البحر لكي تغتسل من ذكريات زوجها بعد انتهاء العدة، ونص «صرار» عن عادة دفن السرة في مكان آمن تقود الصغار عندما يكبرون إليها.. فمن تدفن سرته قرب المسجد يصبح إماما، ومن تدفن سرته قرب الجامعة يصبح تلميذا نجيبا... وهنالك الكثير من الأمثلة لأن المجتمع العماني مجتمع غني بالتفاصيل الصغيرة والحكايات ... أتمنى أن تسعفني ذاكرتي لأكتب كل القصص التي روتها جدتي، وأنا صغيرة لأنها انتقلت إلى رحمة لله، وتركت في جعبتي الكثير من التفاصيل، ولكني لا أكتبها بشكلها القديم، وإنما بشكلها الآني .. كما أراها أنا الآن في الألفية الثالثة لا كما كانت تراها جدتي..

وعمّا أغواني في ذلك فأقول: مساحة التأويل الفارهة... هذه الأشياء التي أراها أنا خرافة ويراها آخر حقيقة وثالث يشكك فيها تمنح النص قوة غريبة.

برأيي الحكاية تبقى في الذهن أكثر من النصوص التي تشتغل على التكنيك، وإن كانت لها امتيازاتها. كتبت نصوصا كثيرة جيدة إلا أن نص «صرار» قرأه أناس كثيرون وأحبوه واختلفوا عليه وانتقدوه... من لا يقرأ القصة أعجبته لان تفاصيل النص قريبة منه ومن يومياته وعوالمه، ومن يقرأ أعجبته اللغة،أو لم يقتنع بالنهاية العابثة الساخرة، والمثقف النخبوي انتبه إلى كذا وكذا، وانتقد كذا وكذا ... بالمجمل لم تكن هنالك حاجة إلى نص سطحي ليقرأه الجميع، بل

يمكن للنص أن يكون بسيطا في ظاهره عميقا في باطنه، وبالتالي تختلف مستويات قراءته ويصل لأكبر شريحة من الناس.

● هدى الصحفية والأديبة والأم كيف تعيش يومياتها؟

أصحو بمزاج رائق في العادة واتجه إلى عملي على صوت «فيروز» وأحيانا على وقع الأغاني الحديثة الصاخبة، وأنا أقود السيارة أفكر ببرنامج عملي وأنسى أسرتي بالكامل .. أضبط مواعيدي جيدا في رأسي لأن ذاكرتي خرفة لذا اعتمد على كتابة الملاحظات... لا بد أن يكون في برنامجي اليومي وقت لـ «إلياس» و «تيم» وإن كان لا يتجاوز الساعتين في اليوم الواحد إلا أنه من الضروري أن تكون هاتان الساعتان حميميتين ومليئتين بالصخب والحب واللعب.. فأنا معهم أصغر طفلة في العالم ... يمكنها اللعب والنط عاليا.. أتضايق عندما اضطر أن أحمل عملي معي إلى المنزل ولكن هذا ما يحدث غالبا، ولكن في الإجازات أهرب إلى قريتي في ولاية السويق، وأمرح مع أطفالي وأتصيد الوقت مع الجارات والقهوة والحكايات التي لا تنتهي لكي تكون مادة شهية لـ قصصي ومقالاتي الصحفية ... فلو أن حياتي اقتصرت على العاصمة مسقط لربما ما تمكنت من كتابة حرف واحد.

كل حكاياتي وحتى عملي الروائي مستمد من تلك الجلسات الرائقة على الحصير المتكئ على جدار الحوش، والنساء المسنات اللواتي لا يكففن عن التحدث في التفاصيل التي لا أعرفها ... ولكنها لا تختمر وتتكون وتأخذ حصتها من التكون إلا عند عودتي إلى مسقط واسترخائي فيها.